هنا
تعالى ذكر ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل
لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تعالى خص كل طايفة من
طوايف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحاق ويعقوب لانهم
اصول الانبياء واليهم يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان
وقد اعطى الله تعالى داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدايد
وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف بهاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام
فانه صبر على البلاء والشدة الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل
الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام
من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك من
الصالحين زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من
بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسماعيل واليسع ولوطا فاذا اعتبرنا هذه
اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن شيء يذكر والله اعلم باسرار كتابه قوله تعالى ومن آبائهم
يعني ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن
ذرياتهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني من
اخوانهم والمعنى ان الله تعالى هدى من آباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخاتم النبيين وهو
قوله واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم
اي الى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد
بهدى توحيد الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد يهدي به من يشاء من عباده يعني يوفق
من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء ولو اشركوا يعني هؤلاء
الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل
مع الشرك من الاعمال شيئا قوله عز وجل اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني اولئك
الذين سميناهم من الانبياء اعطيناهم الكتاب الذي انزلنا عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم
بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة
اشرف المناصب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما كالمقدمة للنبوة فان يكفر بها هؤلاء يعني
فان يجحد بآيات التوحيد والنبوة الكفار من قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن
عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء
الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال رجاء العطاردي هم الملايكة وفيه بعد لان اسم القوم لا يطلق الا على بني آدم وقيل هم
الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا او نبيا او من الصحابة او التابعين وفي
الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان وقد
جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله تعالى اولئك الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم
لانهم هم المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرائعهم
وسننهم اعمل واصل الاقتداء في اللغة طلب موافقة الثاني للاول في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم
في امر الدين الذي امرهم ان يجتمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقايص التي
لا تليق بجلاله في الاسماء والصفات والافعال وقيل امره الله ان يقتدي بهم في جميع الاخلاق الحميدة
والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفهاء والعفو عنهم وقيل
امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الاية دليل على ان شرع من قبلنا
شرع لنا

فهو شرع لنا فصل احتج العلماء بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء
عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال
على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب من اصحاب
الصبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان عليهما السلام من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم
اعملوا آل داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة
والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق
وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع
له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبياء
لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم وقوله قل لا اسألكم عليه
اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل ان الله تعالى لما امره بالاقتداء بالنبيين وكان من
جملة هداهم عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسألكم عليه
اجرا ان هو يعني ما هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين يعني ان القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من
الجن والانس وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته
عمت الخلايق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته وعنه
ان معناه ما آمنوا ان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش
ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشيء اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره
بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيئا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره
فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق
معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار
قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد
ومحمد الطبري قال لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله
وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من
شيء خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع
الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال
اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاء لهم بالتوراة
وبالمعجزات الباهرات وانما انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون ما بعد الاية لا يليق بحال اليهود بان كفار قريش كانوا مشتركين
في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا للكفار من قريش وبعضها خطابا
لليهود والقول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود
وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في السور المكية
قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست آيات منها وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت
بالمدينة ثم اختلف القايلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير
جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا
سمينا فغضب فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى

Copyright King Saud University